

أحكام القرآن

قال ا [تعالی سحروا أعین الناس یعنی موهوا علیهم حتی طنوا أن حبالهم وعصیهم تسعى وقال یخیل إلیه من سحرهم أنها تسعى فأخبر أن ما طنوه سعیا منها لم یکن سعیا وإنما كان تخیلا وقد قیل إنها كانت عصیا مجوفة قد ملئت زئبقا وكذلك الحبال كانت معمولة من آدم محشوة زئبقا وقد حفروا قبل ذلك تحت المواضع أسرابا وجعلوا آزاجا وملؤها نارا فلما طرحت علیه وحمى الزئبق حركها لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار أن یطیر فأخبر ا [أن ذلك كان مموها على غیر حقيقة والعرب تقول لضرب من الحلی مسحور أي مموه على من رآه مسحور به عینه فما كان من البیان على حق ویوضحه فهو من السحر الحلال وما كان منه مقصودا به إلى تمویه وخدیعة وتصویر باطل في صورة الحق فهو من السحر المذموم فإن قیل إذا كان موضوع السحر التمویه والإخفاء فكیف یجوز أن یسمى ما یوضح الحق وینبئ عنه سحرا وهو إنما أظهر بذلك ما خفی ولم یقصد به إلى إخفاء ما ظهر وإظهاره غیر حقيقة قیل له سمي ذلك سحرا من حیث كان الأغلب في ظن السامع أنه لو ورد علیه المعنى بلفظ مستنكر غیر مبین لما صادف منه قبولا ولا أصغى إلیه ومتى سمع المعنى بعبارة مقبولة عذبة لا فساد فیها ولا استنكار وقد تأتى لها بلفظه وحسن بیانہ بما لا یتأتى له الغبی الذي لا بیان له أصغى إلیه وسمعہ وقبله فسمى استمالته للقلوب بهذا الضرب من البیان سحرا كما یستمل الساحر قلوب الحاضرين إلى ما موه به ولبسه فمن هذا الوجه سمي البیان سحرا لا من الوجه الذي ظننت ویجوز أن یكون إنما سمي البیان سحرا لأن المقتدر على البیان ربما قبح بیانه بعض ما هو حسن وحسن عنده بعض ما هو قبیح فسماه لذلك سحرا كما سمي ما موه به صاحبه وأظهر على غیر حقیقته سحرا قال أبو بكر C واسم السحر إنما أطلق على البیان مجازا لا حقيقة والحقیقة ما وصفنا ولذلك صار عند الإطلاق إما یتناول كل أمر مموه قد قصد به الخدیعة والتلبیس وإظهار ما لا حقيقة له ولا ثبات وإذ قد بینا أصل السحر في اللغة وحكمه عند الإطلاق والتقیید فلنقل في معناه في التعارف والضروب الذي یشتمل علیها هذا الاسم وما یقصد به كل فريق من منتحلیه والغرض الذي یجری إلیه مدعوه فنقول وبا [التوفیق إن ذلك ینقسم إلى أنحاء مختلفة فمنها سحر أهل بابل الذين ذكروهم ا [تعالی في قوله یعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكین ببابل هاروت وماروت وكانوا قوما صابئین یعبدون الكواكب